التحليل النفسي من فرويد الي جاك لاكان

محاضرة مقدمة امام الجمعية المصرية للتحليل النفسي

السيد البدوي فتحي صديق
أستاذ مساعد علم النفس الاكلينيكي والتحليل النفسي
معالج نفسي ومحلل نفسي

- "ان الرعب الذي يتملك الانسان عندما يميط اللثام عن مبلغ قوته قد يبلغ حدا يجعله يتحول عنه بعيدا حتى عن العملية نفسها التي يعري بها ملامح هذا الوجه".
(لاكان، الكلام واللغة)

- بداية ذي بدء يتعين القول إن التحليل النفسي، كما يراه مؤسسه سيجموند فرويد، يشكل احد الصدمات الثلاثة التي أصابت الفكر الإنساني والتي حطمت غرور الانسان وكبرياؤه وزعزعت ثقته بنفسه، وذلك عندما كشف فرويد إن الانسان "ليس صاحب البيت الذي يسكنه وإن ديناميات الفعل والرغبة تكمن في اللاشعور وليس في الانا"... لقد أحدث التحليل النفسي نقله نوعية انقلابية إذ هدمت المحور الاساسي المعتمد على الانا وعلي الشعور... لقد كشف التحليل النفسي أن مركز الفهم الإنساني لا يتأتى من الوقوف على الوعي الإنساني وحسب، وإنما لابد من الوقوف على اللاشعور؛ وكذلك على الذات الإنسانية باعتبارها ذاتا منقسمة.

- وإذا كان الكشف الفرويدى تمثل لا في اماطه اللثام عن اللاشعور فحسب، وإنما ايضا في طرح منهجية يمكن من خلالها الوقوف على ديناميات اللاشعور وبنيته، كانت المفاجأة التي طالعت اكتشاف اللاشعور هي إن المحور الأساسي المحرك للاشعور هي الجنسية؛ الجنسية لا بمعناها الإنسالي وإنما بمعناها الليبيدي؛ أي الطاقة النفسية الليبيدية التي تحرك الحياة الإنسانية منذ ولادة الانسان.

• وما إن بدأ فرويد يتقصى دينامية الجنسية هذه حتى وصل الى المكوّن الأساسي في الانسان: الفانتازيات التي تبني الحياة الإنسانية: "نحن من نسيج الفانتازيات نُصنع". وأن ما يميز الانسان عما عداه هي الفانتازيات التي هي سيناريوهات عقلية تمثل الحياة الإنسانية.

• الفانتازيات هي الواقع النفسي للإنسان المختلف عن الواقع الفعلي... هي الواقع النفسي الذي يحمل ثقلا أكثر في تشكل الانسان ويعكس بنيته من حيث هي بنيه دينامية تضم داخلها ليس فحسب حفزات الحياة وإنما أيضا وجنبا الى جنب وفي تفاعل دينامي مع حفزات الموت، في صراع يشكل صميم الحياة ولبها: إن الحياة في صميمها صراع لا ينفك ينتهي ابدا.

• وما أن تكشف الصراع النفسي امام فرويد واخضع نفسه لخبرة فريدة من نوعها، هي خبرة التحليل الذاتي، حتى نراه يقول: "لقد اهتزت الأرض تحت قدمي". لقد اكتشف فرويد كنه الصراع الذي يعيشه كلا منا... إنه الصراع الأوديبي: تلك البنية الإنسانية التي تشكل الذات الإنسانية حيث لا يوجد مجتمع حضاري دون تحريم المحارم، دون تحريم يقف حائلا امام رغبة الابن الآثمة، تحريم يقع على عاتق الاب من خلال علاقة ثلاثية تشكل القاعدة الأساسية للبنية الأوديبية.

• كل هذا وينطلق فرويد من العيادة، من العمل الدؤوب مع المرضي، مع منهج استقصاء أخذه من التنويم المغناطيسي الى الإيحاء والعلاج التطهيري ثم الى التداعي الطليق (القاعدة الأساسية) الذي كشف له كنه اللاشعور ومحتواه حيث الكبت وعودة المكبوت؛ لقد تبدي امام فرويد ظواهر كان يراها البعض هامشية لا تشكل أهمية. فإذا هي الطريق الملكي الى اللاشعور: الاحلام والهفوات والنكات... ومن قبلها الاعراض المرضية.

• وفي رحلة شاقة وعمل دؤوب ومجاهدة للنفس وفاعلية مقاومات، بلغ فرويد الى نظرية في الانسان في عمومه... ويكتب كتاب لا يأتي العمر مرتين: تفسير الاحلام حيث يمكن للحلم أن يعكس تاريخ الذات بأكملها... ليكشف عن كنه الانسان في أعمق اعماقه... وتأخذه عبقريتة وتحليلاته جميعها ليطرح لنا نظرية نشؤيه في التطور النفسي للإنسان يسميها نظرية التطور النفس جنسي ويكتب كتابه: ثلاث مقالات في النظرية الجنسية ويفك مغالق كانت مستغلقة على الفهم... ويقدم في الأخيرة نظرية في الانسان والتطور النفسي؛ نظرية دينامية نشؤيه وطبوغرافية واقتصادية وفي الأخير بنيوية.

• ويأخذنا فرويد من الاعراض المرضية الى تناول سيكوباثولوجيا الحياة اليومية ثم الى علم نفس الجماعة وتحليل الانا وليطرح نظرية بعامة في الانسان في سواءه وفي مرضه، في فرديته وفي جماعته، وفي مجمل جنبات حياته. وتُثَبِت نظرية التحليل النفسي اقدامها في تاريخ الفكر الإنساني المعاصر وتحدث انقلابا فكريا يطبع هذا العصر بطابعه ويدعو الانسان الى أن يحرر نفسه من المفاهيم المكبوتة ويفتش عن الحقيقة الكامنة وراء اوهامه؛ الحقيقة التي يقف امامها كل ضروب المقاومة التي تري إن كل من يحاول تخطي الحدود الفكرية المرسومة له بحكم التقاليد والمعتقدات يعتبر بمثابة من ارتكب آثما وانتهك حرمة الجماعة.

• أن علينا إن نعتبر أن التحليل النفسي ليس فحسب طريقة في العلاج وإنما هو نظرية في الانسان حتى وإن كان البعض لما يزل، ومن بينهم لاكان، يري أن التحليل النفسي هو أولا وقبل كل شيء عملية علاجية، عملية تتناول مستويات مختلفة من النفس للكشف عن سلسلة الدوال التي ارتسمت في حياتها وتشكل رغباتها من حيث إن النفس إنما هي أولا وقبل كل شيء ذاتا راغبة تعبر عن رغبتها في دوال. وكما قالت لي محللتي النفسية، عفاف محفوظ، أن التحليل النفسي إنما هو "مشروع وجود" يكشف حقيقة الانسان كونه انسانا.

• ولما كان مقامنا هنا لا يتسع لتناول التحليل النفسي من حيث هو علم او فن او كليهما؛ فسوف نتناول التحليل النفسي من حيث هو ممارسة تقوم وتتأسس على واقع يتمركز على شخصين يتكلما معا في علاقة علاجية من أجل تحقيق هدف علاجي يتحقق بالكشف عن بنية الذات الإنسانية ومساعدة الذات في التغلب على التشويهات القائمة في محاولتها لفهم الواقع.

• وكما نعلم إن فرويد يزعم إن عله هذه التشويهات قوي لاشعورية لها تأثيرات غير متوقعة وخفية على تصرفات الحياة اليومية... ومن ثم فإن مهمة التحليل النفسي العمل على فهم أفضل للكيفية التي يعمل بها اللاشعور والعلة التي تقف وراء هذا العمل... ومساعدة الذات على أن تقوم بتقييم قصه حياتها من خلال رؤية منفتحة لتعميد سبلا جديدة بديلة للمستقبل. أن العلاج يتم تفسيره في الأخير على إنه يستند على فكرة أن يعيد المريض بناء قصه حياته وأن يلقي بالضوء على عناصر بعينها في ماضيه والتي تعيق حياته: سواء كانت واقعية او متخيله.

• وبعيدا عن التفريعات والمسارات المتعددة التي اتخذتها حركة التحليل النفسي بعد وفاه فرويد، فإن ما ننشده اليوم القاء الضوء على واحد من اهم المسارات التي تم اتخاذها في القرن العشرين: مسار التحليل النفسي اللاكاني واللاكانية.

• وبداية يمكن القول إن ما احدثه لاكان من ثورة قد أعاد صياغة العديد من المفاهيم الأساسية وخلص التحليل النفسي من أوجه الغموض التي كانت تشوب بعض مفاهيمه.

تري من هو جاك لاكان؟

• لاكان ١٩٠١ ـ ١٩٨١ طبيب نفسي ومحلل نفسي فرنسي. استهل مسيرته طبيبا نفسيا حصل على إجازة في الدكتوراه في الطب النفسي في العام ١٩٣٢ تحت عنوان "الذهان البارانوي وعلاقته بالشخصية" والتي حددت وجهته صوب النظرية الدينامية والتحليل النفسي. فلقد برهن في اطروحته هذه إن الذهان البارانوي لا يمكن فهمه بالتفسيرات العضوية. ومن خلال تناوله لحالة "ايمي" المريضة الذهانية التي تم تنويمها عقب هجومها العنيف على ممثلة معروفة، سعي لاكان ليطرح حجته التي جاءت على نقيض التقليد المهيمن على ساحة الطب النفسي القائم آنذاك في فرنسا. لقد اقام الدليل علي إن تصرفات "ايمي" قد جاءت نتيجة خبراتها الحياتية المعاشه؛ كما سعي لأقامه الصلة بين ملامح ضلالاتها وخصائص شخصيتها.

• وبتأكيده على هذه الصلة الأساسية، كانت وجهه لاكان قد اتخذت من النهج الدينامي سبيلا لتفكيره، وانفتح على قراءه كتابات فرويد التي أدرج العديد منها ضمن مراجع اطروحته.

• أن تبنيه للنهج الدينامي في ذلك الحين كان يشكل عملا انقلابيا حيث المفاهيم الفرويدية لم تلق صداها الكاف بعد في فرنسا. فالتحليل النفسي قد دخل فرنسا بطريقة رسمية فقط مع العام ١٩٢٦ مع تأسيس جمعية باريس للتحليل النفسي (SPP) على يد ماري بونابرت ومساعديها.

• وعلى الرغم من إن اطروحة لاكان ظلت في النهاية ضمن الإطار الطب نفسي والتحليل النفسي، الا إنه سريعا ما عمد نفسه كمحلل نفسي، حيث بدأ تحليله التكويني في عام ١٩٣٢ مع لوفنشتاين، وفي العام ١٩٣٤ التحق بجمعية باريس والجمعية الدولية للتحليل النفسي (IPA).

• وفقط بعد عامين، في العام ١٩٣٦، قام بتقديم اول مقال له تحمل طابع تحليلي نفسي امام المؤتمر الرابع عشر للجمعية الدولية للتحليل النفسي المنعقد في مدينه "مارينباد" تحت عنوان: "مرحلة النظر الى المرآه" والتي لم يكمل تقديمها بعد أن قاطعة ارنست جونز واوقفه عن التقديم بعد ١٠ دقائق ولم يتم ايداعها لهيئة المؤتمر ولم يتم نشرها ضمن منشورات المؤتمر... ولكن يمكن القول إنها قادت لاكان لينشر مقالتين ذو صيغة تحليلية نفسية خالصه تحت عنوان "الاسرة" في الانسيكولوبيديا الفرنسية، ضمن المجلد الثامن الذي جاء يحمل عنوان "الحياة العقلية" (١٩٣٨) بتكليف من "هنري فالون".

• لقد تم تقديم لاكان للمجتمع الثقافي في باريس من خلال هاتين المقالتين اللتان جعلا من لاكان غير المعروف المساهم الأكثر أهمية في هذا العدد من الانسيكولوبيديا. وأصبح اسم لاكان من بين الأسماء التي تتردد من بين كوكبه المفكرين الذين يفكرون تفكيرا عميقا بشأن العقل الإنساني والذين ذاع صيتهم بعد الحرب العالمية الثانية، في الخمسينات.

• لقد أصبح جاك لاكان المفكر الفرنسي الأكثر تأثيرا بشكل مثير للجدل بعد سارتر في الاربعينات من القرن العشرين؛ وكان من المثقفين العظام الذين شغلهم العقل الإنساني واستطاع أن يعيد النظر في التحليل النفسي من خلال حركة دؤوبة، ذهابا وإيابا، بين النصوص الفرويدية للتحليل النفسي، ومن خلال انصاته كمحلل نفسي، وبفضل الاسهام الهائل للعلوم الإنسانية.

• لقد قام لاكان بتحديث مشروع فرويد العلمي واكتشف مصادر المعرفة الإنسانية التي تتأتى من اللغة، تلك اللغة التي تضم أعمق أعماق الانسان: لا شعوره وتاريخه الثقافي والاجتماعي ووسائل تعبيره المختلفة.

• لقد كان لاكان شخصية مثقفة ملم بالأساطير ويتكلم عده لغات، ظهر في عصر غني بالمثقفين الفرنسيين الذين شغلوا الساحة الفكرية في باريس... ولم يكن لاكان الا واحدا من أكثر من شغل مكانه بارزه في الساحة الفكرية... وقدم اعمالا ممتدة من بداية الثلاثينات وحتى نهاية السبعينات من القرن العشرين، استمر على مدار ما يزيد على الخمسة والعشرين عاما يعقد سيميناراته السنوية بداية من العام ١٩٥١ وحتى العام ١٩٧٦... وقدم عملا حجمه كبير وينطلق من خلفيات أيديولوجية متعددة: عقدة خلفيات فلسفية ودرس هيجل على يد واحدا من أنبل تلاميذه المخلصين الكسندر كوجيف، وقد قام لاكان أيضا يترجم اعمالا لهيجل وعنده خلفيات بنيوية وساهم في النزعة الما بعد بنيوية وكذلك خلفيات أنثروبولوجية حيث رافق كلود ليفي شتراوس، وقبل كل ذلك تكوينه التحليلي حيث خضع للتحليل النفسي التكويني على يد لوفنشتاين في العام ١٩٣٢ لمدة ٦ سنوات.

• يعتبر لاكان المحلل النفسي الأكثر شهرة وألمعية من بين المحللين النفسيين الذين انطلقوا في مسيرته الفكرية بدعوة تحمل شعار "العودة الى فرويد"... وكان يري إن الاحتكام الى فرويد لا يعني استعادة خبراته السابقة واستنتاجاته الأولية، وإنما الاحتكام الى خبرة فرويد الفريدة واستقراء ما بين السطور التي خطها لكي نستخلص المعني الصحيح.

• لقد عمل لاكان على ترقية مسار فرويد والانتقال من النزعة العلمية البيولوجية الى التأكيدات السردية في تفسير عمل فرويد. لقد كانت المهمة امام لاكان لا التخلص من التشويهات المفترضة في أسلوب كلام فرويد ومن بعده ابنته أنا فرويد وإنما بالحري في التعلم من الكلام لرؤية ما يكشفه الكلام.

• لقد قام لاكان بفحص كلام فرويد للوقوف على الاعراض المرضية والبحث عما يسميه "حقيقة الرغبة". كما أوضح في مقابلته التليفزيونية "أن الانا تتكلم دوما الحقيقة"... وكان يعني إنه أيا كان ما يقوله هو او أي شخص أخر، فإن الكلام يكشف عن أشياء بشأن الذات هي بالضرورة قد لا تعيها.

• وفيما يري لاكان، فإن الجوهر الإبداعي لعمل فرويد ينتمي الى تلك الحقبة من الزمن التي تم فيها كتابة "تفسير الاحلام" واستمرت حتى كتابة مقالات في الميتاسيكولوجي ١٩١٥. ففي هذه الحقبة أرسى فرويد دعائم اعمال تفصيلية بشأن اللاشعور. وكما تعلم أن فرويد يعتبر تفسير الاحلام هو مفتاح مكتشفاته، وهو أيضا الكتاب الذي لحقه مباشره كتاب سيكوباثولوجيا الحياة اليومية، وكتاب النكات وعلاقتها باللاشعور، حيث أرسى نظرية التحليل النفسي في الانسان في سواءه ومرضه، وفي هذه الاعمال تم طرح المفاهيم المفاتيح للخبرة التحليلية النفسية ـ اللاشعور، الجنسية. فاللاشعور وإن كان موجودا كفكرة قبل فرويد، الا إنه من خلال مكتشفات التحليل النفسي أصبح يتم تناوله باعتباره بنيه وأن هذه البنية تستخدم أسلوبا بعينه من اللغة وأن اللاشعور يمكن الوقوف على فهم بنيته وتحليلها.

• ومن ثم فإن شعار لاكان، الذي دشن به مسيرته والذي يحمل عنوان "العودة الى فرويد"، يقوم بشكل عام على أعادة تفحص وسبر غور فرويد في هذه الحقبة الإبداعية... وعلى الرغم من ان لاكان ناقش عمل فرويد الأخير مرات عديدة، الا أن مناقشته كانت تستند الى فكرة إن جوهر التحليل النفسي يكمن في كتاباته الأولى وان فرويد قد انحرف الى حد ما عن روح عمله المبكر حيث أخذته بعض التحيزات الأيديولوجية نحو بعض التحريفات.

• وقد يكون جد بسيط إن نصف عودة لاكان الي فرويد على إنها ليست الا تأكيدا على فرويد المبكر وعلى قراءته الخاصة لنصوص فرويد.

• لقد افترض لاكان قراءه لنص فرويد تمسك وتفهم الصراعات والعقد في تفكيره في نقطة منشأها واصلها، وطور أسلوب كتابة بهدف تجنب إن يكون مفرط التنظيم واختزالي وان يتأمل اعمال اللاشعور. لقد جاء نثر لاكان يطيع غالبا قوانين اللاشعور على النحو الذي صيغت به من قبل فرويد: مليئة بالتوريات والنكات والاستعارات والسخرية والمتناقضات؛ وهناك عديد من التشابهات في شكلها مع الكتابة الذهانية.

• وهذا جعل من قراءه مقالات لاكان مهمة فكرية تتطلب مجهودا كبيرا... لقد جاء لاكان على خلاف فرويد الذي كان يولي اهتماما كبيرا لجعل عرضه واضحا، كما إنه رفض أن يحدد كل مفرداته ومعناها ووظيفتها على مر السنين مع قليل من التفسير.

• لقد كان لاكان في الواقع مهتما بشكل خاص بما لا يمكن حصره في تعريفات عادية: ما يخرج من بين الكلمات، وما يخرج من الكلام او بين السطور او في الروابط والترقيمات بين الكلمات... ومثل هذا النهج مألوف لمن اقتحموا وخاضوا التحليل النفسي سواء محللين او مرضي، لأن المعني في الجلسة النفسية التحليلية يميل الى التبدي بهذه الطرق المكتوبة للغاية من قبيل الهفوات والاحلام والنكات والتوريات.

• ولكن ما هو مثير وغير مألوف حقا هو استخدام نفس مواد الجلسة التحليلية من أجل ما يسمي بالنثر التوضيحي، الامر الذي كان يفضي في كثير من الأحيان الى أثارة بالحيرة لدي القارئ: أن يشعر وكأن الأرض تهتز من تحت قدميه، إن يشعر بالغضب والاستياء... لقد كانت قراءة لاكان مثيره للجدل... ومع ذلك كان يتم أخذها على محمل الجد باعتباره محللا نفسيا ومفكرا رئيسيا في ساحة الفكر الباريسية.

• لقد كان لاكان من بين الفلاسفة مثل هيجل وهايدجر وهوسرل الذين يرون في القراءة عملا عقليا. لقد كانوا مفكرين عظام حتى وأن تمت مهاجمتهم أحيانا بسبب الغموض غير الضروري ويسبب الاختلاف في بعض التصورات والفرضيات.

• وعند هذا الحد سأكتفي بهذا القدر بعد إن أقول إن لاكان هو منظر في العواطف والاهواء الإنسانية وكان في عداء ثابت ليطرح نظرية في اللغة.

• والان سأعمل على ابراز علاقة لاكان مع فرويد...

• لقد تداخلت مسيرة فرويد ولاكان في الكتابة والنشر لمده اثنتي عشرة عاما بداية من أواخر العشرينات حتى العام ١٩٣٨، ذلك العام الذي كتب فيه فرويد كتابه الأخير "الموجز في التحليل النفسي" والذي يعتبر خاتمة لعملة النظري وإعادة صياغة دوجماطيقية للرؤي التي يبقي فرويد يلتزم بها. وفي نفس العام نشر لاكان في الانسيكولوبيديا الفرنسية مقال مطول تحمل عنوان "العقد الاسرية" في تكوين الفرد، والتي لم تعيد فقط صياغة عدد من مبادئ التحليل النفسي الأساسية في شكلها الفرويدى الكلاسيكي، وإنما قدمت أيضا رسما اوليا متقن الصياغة لثيمات ظلت تشغله لعقود لاحقة.

• لقد كان فرويد في وداعه ولاكان في استدعائه لحمل السلاح. كان هناك ثمة تركيز مشترك بينهما قائما على الاسرة باعتبارها ساحة المعركة الأساسية، الساحة والمختبر الذي فيه يتم خلق بنية العقل الإنساني: لقد ظهر الاختلاف في ابسط صورة بشأن ما يتضمنه التمفصل النظري للبنية العقلية.

• لقد كان كتاب فرويد "الموجز" مسكونا بعلم البيولوجي. لقد كانت البيولوجيا مهمة لفرويد ليس ببساطه لأنها تذكر دارسي الجهاز النفسي أن مثل هذا الجهاز لا يعدو أن يكون في ارتباط مشروط بعالم الكائنات الحية، وإنما لإنها تمد وتقدم بدرس في الصرامة وتعد نموذجا مقنعا في العقلانية العلمية، وخاصه لأولئك الذين ينشدون اخضاع الحالات العقلية والاستعدادات والتصرفات ضمن نطاق العلم. ومهما كانت استقلالية التحليل النفسي عن العلوم البيولوجية، فإن عليه الا ينسي أن أي علم موحد في الإنسانية يمكن أن يطوق في نهاية المطاف كلا التخصصين في علاقة إيجابية.

• ومن ناحية أخري، فإن لاكان، ومن الفقرة الاولي في مقاله، يكشف عن قوة معادية للبيولوجيا: أن علم البيولوجي لا يقدم نماذج غير موثوقة للعالم النفسي وحسب، بل ويدعوه أيضا اساءه فهم الموضوعات الحقه لبحثه وتقصيه. فإذا ما كانت نية العالم النفسي ومقصده أن يستكشف ما هو انساني بامتياز في العقل الإنساني، فإن عليه أن يولي اهتمامه بالقوة الثقافية المحددة وليس بالقوة الطبيعية. أن عليه إن يأخذ بعين الاعتبار العقد والمركبات بأكثر مما ينظر الى الغرائز، وأن يتناول البنيانات بأكثر من إن يتناول الشهوات، أن عليه ان يكون عالم انثروبولوجيا وعالم اجتماع وليس عالم بيولوجي.

• وأول "العقد الاسرية" التي تناولها لاكان في عمله هذا هي "عقده الفطام". وهذا قد اعطي أولوية منطقية وزمنية في تفسيره لتطور الفرد الانسان: أن الفطام يترك في النفس الإنسانية أثرا دائما للقطع من العلاقة البيولوجية. أن ازمة الحياة هذه سوف تتكرر للحق في ازمة النفس، وهي الازمة الاولي، بلا شك، التي سوف يؤدي حلها الى بنية ديالكتيكية. بالنسبة الى فرويد، يعد هذا القطع للعلاقة الخلقية بين الام والطفل بالغ الأهمية: مهما طالت مدة تغذية الطفل من ثدي الام، سوف يبقي الطفل مقتنعا بعد فطامه بإن فترة تغذيته كانت قصيرة جدا وقليلة جدا. الفطام يمثل انجرافا الى الوراء ومضمونا استرجاعيا عاجزا لكل هوي وعاطفة. ومع ذلك، بمسرح لاكان اللحظة على نحو مختلف تماما: أن قبول الفطام او رفضه يمنح العقل البشري الناشئ اول عمل جاد يقوم به من جانبه ويطلقه على ضرب من الديالكتيك الداخلي المتواصل. أن العبور من المجال البيولوجي الى المجال النفسي يسم لحظة قطع نهائية لا رجعة فيها في حياه الفرد اللهم الا في الفانتازية.

• والعقد التالية التي عزلها لاكان للمناقشة ـ عقدة "الاقتحام او التطفل" والعقدة "الأوديبية". من شأنها أن يجعل الامر أسوأ؛ إنها تمنع الفرد وتحول دون عودته الى العالم المفقود لذاته الرضيعة وتحوله الى موقع نفسي عقلي حيث تلعب التناقضات والعواطف المتضاربة دورا لا نهاية له.

• يعترف لاكان بكل يسر وسهوله، شأن فرويد، بأن التوق والحنين الى الماضي والعودة الفانتازية للفردوس المفقود لا يمكن اقتلاعها من جذورها بسهوله من العقل الإنساني. ولكن يتوقع من المحلل النفسي، وهو يمارس مهنته بحرفيه، أن يقاوم جاذبية هذا التوق المتغير بمهارة. أن التفسيرات البيولوجية للعقل هي في حد ذاتها نتاجات مثل هذه الفانتازية. إنها تفترض وحده أولية من الممكن والمرغوب فيه استعادتها على نحو ما او محاكاتها. ويجب مقاومة مثل هذه التفسيرات بمجرد ظهورها.

• لقد أضفي لاكان في هذا العمل الكثير من الأهمية على ديالكتيك القوي الثقافية الذي سوف يشكل الأساس لكل طروحاته التالية.

• أن لم يكن ضروريا وحسب لمنظري العقل البشري إن "ينفطموا" عن عاداتهم الطفولية في الشرح والتفسير، فإن عليهم أيضا أن يتدرعوا باتخاذ احتياطات متقنه تمنعهم من العودة الى التعبية والانتكاس في الاعتمادية.

• ثمة نمط كامل من الموافقة المعارضة لأفكار فرويد كانت جد واضحة في مقال "العقدة الاسرية". لقد كان فرويد على صواب ولكنه صواب غير كاف، او لم يكن بالصواب بالطريقة الصائبة تماما. أن حجه لاكان تجري بالنيابة عن فرويد ولصالحه وفي نفس الوقت تجري ضده. ومن المثير للدهشة تماما إن نجد لاكان يكتب بأسلوب واثق في حين نلاحظ قدرا من عدم الأمان في روايته للثقافة في هذه المرحلة.

• وفي السنوات التالية، ثمة فكرتان ظهرتا في أدوار ثانوية في هذا العمل: اللغة واللاشعور ليكونا فيما بعد أساسيتين في تفكيره، ويزودان نقاشه للموضوعات الثقافية بمرسي راسخ في عالم السلوك الإنساني وعالم الكلام. ولكن في العام ١٩٣٨، كانت الثقافة بالنسبة الى لاكان عرضه لاختلافات لا حصر لها، حيث لم يكن لها من وسيط محدد بشكل كامل يمكن من خلاله ملاحظة تلك الاختلافات والتباينات. ولقد كان على اللغة واللاشعور في نهاية المطاف أن يوفرا هذا الوسيط. وفي جمله لاكان المستمرة كان الاسناد لدي فرويد يتمثل في الرجوع الى تفاعلهما. وللحق، كانت اللغة واللاشعور، في بعض من صياغاته اللاحقة، هما اللذان يشكلان النظام الإنساني ــ هما كل النظام الإنساني.

• إنه حقا وبالفعل في "العقد الاسرية" كان لاكان التلميذ الذي يسابق معلمه، وكونه مفكرا مستقلا في عقليته قدم مزاعم كبيرة حتى من قبل أن يتمكن من دعمها. ولكن ولاءه لفرويد كان شديدا، والاصولية التي كان ينشدها ويسعي اليها هي اصاله القارئ المخلص والملهم المبدع، اصاله من لا يمكنه التفكير بشكل مثمر الا من خلال نص شخص اخر وضمنه.

• لقد انطلق لاكان في مسيرته بالدعوة "بالعودة الى فرويد" حيث كان يتناول نصوص فرويد ليتخذ منها نقطة انطلاق له ليدخل معها في حوار دائم ومستمر. ويمكننا القول إن من لديه معرفة جيدة بفرويد سوف يجد الكثير من عمل لاكان مفهوما وواضحا.

• لقد بدأ لاكان في الخمسينات يطور رؤيته الخاصة في التحليل النفسي انطلاقا من نصوص فرويد وقد مفصلها في اللغويات البنيوية والانثروبولوجيا. ويمكن لنا إن نتصور ويمكن القول اجمالا إن علاقة فرويد ولاكان هي علاقة معقدة. والسبب في ذلك هو إن على الرغم من أن لاكان في كل مرحلة من مراحل مسيرته المتعاقبة كان يستحضر نصوص فرويد ويضعها في مركز المسرح، الا إنه كان هناك دوما نقاط اتفاق ونقاط اختلاف بينهما وتتكرر دوما.

• ويقول لاكان مع بداية رحلته لا يمكن لي أن أنفصل عن تراث لغة اصطلاحية لمفاهيم علم يدين في قيمته لتصورات نظرية قد قام فرويد بصكها عبر تقدم خبرته؛ تصورات استفادت من أصداء عدة رغم تعرضها لمخاطر سوء الفهم وضروب نقد سيئة ووجود بعض درجات من الغموض فيها.

• ويمكن رؤية أسلوب لاكان في التنظير على إنه محاولة لإعادة كتابة "زوال" جميل الى الفهم التحليلي النفسي للعقل الإنساني، على النحو الذي تناول به فرويد الزوال في مقالته غير المعروفة والتي تحمل عنوان "الي زوال" on transience ضمن مجلد الاحتفال بجوته اثناء الحرب العالمية الاولي. والتي يفترض فيها فرويد إن زوال الشيء الجميل لا يقلل من سحره، بل وربما يعزز منه.

• لقد كان لاكان يري إن عالم الادراك الحسي إنما هو عالم من الوهم، إنه عالم المتخيل الذي من خلاله ينشد الكائن الانسان توفير العزاء لنفسه من خلال التعيين مع أجزاء مختارة من العالم، ومن خلال إيجاد الكمال المتخيل للانا المنعكس في كمال الشيء المدرك ظاهريا، فبالنسبة الى لاكان، ليس من المفيد إن نحلم بكارثة مستقبلية، بإن نتذكر تفكك النظرية النفسية، لأن ثمة انفصال كارثي قد حدث للرغبة عن موضوعاتها بالفعل. وهذا هو الثمن الذي دفعه الانسان عن غير قصد مقابل دخوله في اللغة والثقافة. إن كل نتاجات العقل البشري موسومة بالفعل بقدوم الموت: فالتلاشي والفشل والقصور والانهيار والارتكاس كلها مآل نتاجات العقل البشري: الأمنية يمكن تحقيقها، الرغبة لا يمكن: إنه لا يمكن اشباعها، وموضوعاتها في حالة طيران دائم. هكذا يتناول لاكان العلوم الإنسانية بشكل عام عندما تقول كل هذا. كم كنا جميعا مخطئين حتى الان، وكم كنا في ضلال. يا له من درس نحتاجه جميعا حول غرور حديثنا عن الكمال، وحديثنا عن الذات وحديثنا عن الكلية والشمولية. كم هو مميت مشهد الرغبة الإنسانية...

- وعندما ننتقل من المجال الميتافيزيقي لنظرية التحليل النفسي الى محتواها المفاهيمي، تصبح المقارنة بين فرويد ولاكان اقل وضوحا بكثير. غالبا ما تصور المنحة الجديدة لفرويد مؤسس التحليل النفسي على إنه منظر وجدت في كتاباته "التوترات الفكرية الأكبر في عصره" تعبيرا دراميا. إن فرويد هو معا مبتكر النماذج الطاقاتية البيولوجية للعقل البشري ودارس للخطاب الإنساني: حاول أن يصف العقل على إنه تفاعل صامت بين ضغوط وشدائد، وفي نفس الوقت حاول إن يفهم المعني الخفي لكلام كل مريض. وفي منطقة وسطي غير مؤكدة بين علم السوائل المتحركة (هيدروليك) والسيمانطيقيات (علم الدلالات)، بدأ التحليل النفسي بجد صوته. وحتى عندما حاول أن يدرس الخطاب، نراه يتحرك في وجهتين: كان معا عالم في فقه اللغة المقارن وعالم لغويات بنيوي اولي. *وعندما كان يسعي لإيجاد وضعية لتخصصه الجديد في المجال الاوسع للعلوم الإنسانية، ثمة ضرب من عدم اليقين يتكشف. فمن ناحية، يجب إن يهتم التحليل النفسي بالفنون الليبرالية بشكل عام، لأنه بدون القيام بذلك، قد لا يتمكن من النقاط الاصداء الثقافية لخطاب المريض الفرد وسوف يفقد الفرص العلاجية في هذه العملية. ومن ناحية أخر، فإن معرفة اللاشعور جعلت من التحليل النفسي فنا تفسيريا فريدا. ولكن يظل كذلك، يجب حماية اجراءاته النظرية والعملية. أن الجمع بين الانصات والتحدث، الذي يمثله العلاج التحليلي النفسي، لا يمكن له أن يكون "دراسات ثقافية" خالصه وبسيطة.*

• وبالنظر الى مساهمة لاكان على نحو جد بسيط، يمكن للمرء القول إن لاكان كان أكثر يقينا من فرويد بشأن كل من موضوع التحليل النفسي وبشأن وضعيته بين التخصصات الفكرية المجاورة. فبالنسبة الى لاكان، فإن التحليل النفسي عليه أن يهتم أولا وقبل كل شيء بفهم الكلام الإنساني وعلوم اللغة والبيان والشعر هم حلفاؤه الذين لا غني عنهم.

• ففي حين كان فرويد يتردد بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، لم يفعل لاكان ذلك، فهو لم يكن يحب عبارة العلوم الإنسانية وبفضل العلوم الحدسية كوصف أكثر دقه، ولكن بالنسبة لهذه التخصصات، أيا كانت تسميتها، يجب أن يبدأ التحليل النفسي في البحث عما إذا كان عليه إن يجد في نهاية المطاف تماسكه المفاهيمي.

• لقد بدت اللغويات بالنسبة الى لاكان هي التخصص القادر على تنظيم وضبط المواد الرصدية التي جمعها التحليل النفسي... وحتى عندما انطلق لاكان في تحرير التفكير الفرويدى من بعض الشكوك التي طاردت فرويد نفسه، ثمة ظنون جديدة بدأت تغزو عمله هو نفسه.

- لقد انطلق لاكان وهو يري أن فاعلية التحليل النفسي لا تتأتى الا من خلال الاهتمام بوظائف الكلام ومجال اللغة، وان تضاؤل الاهتمام بهما يعد هو المسؤول عن التغييرات الحادثة في الهدف والتكنيك. وكان يري أيضا ان علينا أن نُخضع المقاومة التي تلقاها حركة التحليل النفسي في الوقت الراهن لديالكتيك التحليل الذي لا يمكنه ان يخفق في الوقوف علي فهم هذه المقاومة

- **<u>ان المشكلات الحالية في التحليل النفسي يمكن إدراجها تحت ثلاث عناوين رئيسية:</u>**

١. وظيفة المتخيل، أو ببساطة أكثر وظيفة الفانتازيات في تكنيك الخبرة التحليلية النفسية؛
٢. مفهوم العلاقة بالموضوع الليبيدية التي عليها بدأت فكرة التقدم العلاجي، وتغيير السبيل الذي يجري فيه العلاج؛
٣. أهمية الطرح المقابل وتباعا أهمية التدريب التحليلي للمحلل النفسي، إذ تتبدي كينونة المحلل النفسي على انها العامل الذي لا يمكن بأي حال من الأحوال إهماله في نتائج التحليل ومترتباته... ان كينونة المحلل تبرز بقوة في العمل التحليلي الي حد يستحيل معه الوصول الي حل الا عن طريق ضرب من الاستكشاف العميق لمنابع اللاشعور الرئيسية.

• إن هذه الإشكاليات الثلاثة تتداخل معا مع حيوية الخبرة التحليلية وهي من سيبدأ لاكان في التصدي لها شريطة الا يتخلى المحلل النفسي، كما يقول لاكان، عن لغته الخاصة لصالح لغات أخري قامت من حوله وهو لا يعرف سوي القليل جدا عن تعويضاتها عن الجهل.

•

• لقد كانت فكرة فرويد عن اللاشعور هي إحدى الأفكار التي بدأ لاكان يستشكل حولها.

• وانطلق لاكان في سيمينار ه اربعه مفاهيم أساسية في التحليل النفسي بقوله "إذا ما اعتبرنا أن التحليل النفسي هو علم اللاشعور، فلابد للمرء من إن ينطلق من فكرة ان اللاشعور يبني بناء لغة".

• واستنادا على قراءه مفصلة للنصوص الفرويدية، وخاصه الأولية والأكثر راديكالية واهمية في كتابات فرويد، جاءت دعوة لاكان للمحللين النفسيين إن يعودوا الى فرويد وأن يعيدوا قراءته واكتشاف ما تم تجاهله او تركه. وفي فعله هذا قام بتقديم رؤيته مؤكدا على الأهمية الفريدة والمغزى الهام الذي عزاه فرويد لاكتشافه اللاشعور.

• ويري البعض إن عودة لاكان الى اللاشعور ربما قد تبدو خطوة ارتجاعية للوراء. فبعد كل شيء، قام فرويد نفسه بأبعاد النظرية الطبوغرافية لحساب النظرية البنيوية، الامر الذي انزل من شأن اللاشعور الى مرتبة ثانية امام العمل الوظيفي للهي/ الانا/ الانا العليا. ومع ذلك، فإن من المعروف تماما حتى أخر أيام حياته ظل ينظر الى اللاشعور باعتباره الاكتشاف الأعظم ما يكون له، وإنه يحيل مكانه حاسمة فيما يتعلق بالنظرية والممارسة.

• أكد لاكان على إن مغزى هذا الاكتشاف واهميته قد تم تشويهه والتخلي عنه بسبب التضمينات الضاغطة المتأصلة في القبول التام لحقيقته. وأن المحللين النفسيين عوضا عن ذلك قد ركزوا على الانا كقوة للسيادة وقاموا بالتأكيد على وظيفتها التكيفية. وكان يري لاكان إن مثل هذا التصور للانا هو تصور متخيل ولا يخدم الا تعزيز وهم الاستقلالية الفردية.

• لقد جاء تناول لاكان للاشعور الفرويدى بالتأكيد على أبعاده اللغوية. وعلى الرغم من إن فرويد لم يقم يصف اللاشعور على نحو واضح على إنه بنية لغوية، الا إن لاكان اعتقد ان مثل هذا التصور ملازم في كتابات فرويد، ونتيجة لذلك قام لاكان بتطوير رؤية في تفسير اللاشعور الفرويدى مستندا الى المبادئ اللغوية؛ وقد قام بتلخيص رؤيته هذه في واحدة من أفضل تصريحاته التي تقول: "إن اللاشعور يبني بناء لغة".

• فاللاشعور على النحو الذي يفهمه لاكان هو خطاب متمفصل على النحو الذي تتمفصل به الكلمة المنطوقة.

• ويقول: لأن اللاشعور يبني على نحو أكثر راديكالية بناء لغة، أي إن المواد التي تجري فيه تعمل وفق قوانين بعينها، قوانين هي نفس القوانين التي تم اكتشافها في دراسة اللغات الفعلية، فإنه يمكن القول ان اللاشعور هو خطاب.

للاشعور الفرويدى:

• بمراجعتهما للنصوص الفرويدية، يصف "لابلانش وبونتاليس:، اللاشعور الفرويدى على إنه في المقام الأول فكرة طبوغرافية وديناميةتشكلت استنادا على الخبرة العلاجية. فلقد اثبتت الخبرة الإكلينيكية إن النفس لا يمكن اختزالها الى المجال الشعوري وان هناك محتويات بعينها لا يتحقق لها إن تبلغ الى الشعور اللهم الا بالتغلب على ضروب من المقاومة. ويمكن القول وبشكل أكثر خصوصية إن الخبرة العلاجية أدت الى فرضية ان هناك ثمة وجود لمجموعات نفسية منفصلة، وبشكل أكثر عمومية أدت الى أدراك ان اللاشعور باعتباره كيان نفسي ذو مكانة خاصة ومحدده وإنه يتعين وصفه لا باعتباره ضرب ثان من الوعي وإنما باعتباره نسق له محتوياته ومضامينه وميكانيزماته وربما أيضا طاقاته النوعية. أن صياغة لمثل هذه الأفكار سوف تخدم في توضيح بعض من جنبات اللاشعور الأكثر أهمية عند فرويد.

• لقد تم استخدام مفردة اللاشعور في النظرية التحليلية بشكل عام في اتجاهات ثلاثة متمايزة: الاتجاه الوصفي والاتجاه الطبوغرافي والاتجاه الدينامي.

- في الاتجاه الوصفي، يشير اللاشعور الى كل ما هو ليس بشعوري في أي لحظة بعينها.
-
- اما في الاتجاه الطبوغرافي، يستخدم مفهوم اللاشعور ليشير، في أسلوب تقني، الى نسق او مجال من الاحداث النفسية التي يتعذر بلوغها الى الوعي ولم تتوفر فيه.

- ولأن هناك محتويات عقلية قد تكون لاشعورية بالمعني الوصفي، ومع ذلك يمكن الوصول اليها على نحو كامن بالوعي، بالمعني الطبوغرافي، فإن هذه المحتويات تشكل النسق القبشعوري.

- لقد جاء اهتمام لاكان منصبا في المقام الأول على الاتجاه الطبوغرافي بأكثر من اهتمامه بالاتجاه الوصفي.

• اما التناول الدينامي للاشعور يتم وصفه من حيث أن اللاشعور عملية بأكثر منه بنية: فاللاشعور الدينامي هو لا شعور مكبوت، هو هذا الذي تم انكار بلوغه الى الوعي والحيلولة دون دخوله الشعور بفعل قوي الكبت. لقد كشفت الخبرة العلاجية التحليلية أن هذه المحتويات (اللاشعورية) لا يمكن لها إن تبلغ الوعي وتدخل الشعور الا بعد مواجهة مقاومة عتيدة، مما يجعلها تعيش حالة تصارعيه وتتضمن قوي نفسية متضاربة.

• لقد اهتم لاكان أيضا باللاشعور في تناوله الدينامي، وخاصه على النحو الذي يتم تطبيقه في العملية العلاجية.

• لقد حاول فرويد، في مقاله الموسوم "اللاشعور" ١٩١٥، الذي يعتبر من اهم نصوص فرويد النظرية وتتويج لها، تبرير استخدامه مفهوم اللاشعور. ولقد بدأ المقال بالقول إن فرضية فكرة اللاشعور ضرورية ومشروعه تماما، وإن هناك اوله عديدة على وجوده. ولقد جاءت حجته موجود فرضية اللاشعور كأمر مشروع تستند على ملاحظة أننا نضع فرضيات مماثلة عن الوعي.

• وباختصار، علل فرويد بإنه ليس لدينا دليل مباشر على إن هناك عمليات وعي ثان، يل بالحري نحن نستنتج إن هناك عمليات لاشعورية حتى يمكن فهم تصرفات الانسان... وإن ما يتبدى خارج نطاق الوعي الشعوري يمكننا إن تفترض إنه لاشعور:

• أن كل التصرفات والتبديات التي ألاحظها في نفسي ولا اعرف كيف ترتبط مع باقي حياتي العقلية يتعين الحكم كما لو إنها تنتمي الى شخص ما أخر: إنها تفسر من قبل حياه عقلية يمكن عزوها لهذا الشخص الأخر.

• وبدلا من اعتماد وجود "وعي ثاني"، فإن من المنطقي أن تبلغ الى قبول إن هناك "عمليات عقلية" هي في حد ذاتها "لاشعورية".

• كما أكد فرويد إن فرضية اللاشعور فرضية ضرورية لأن هناك في معطيات الوعي عدد كبير من الفجوات. واستشهد بأمثله عديده من التصرفات التي تحدث دون وعي شعوري او تدخل من قبيل الهفوات والاحلام والاعراض المرضية والأفكار الوسواسية، ومن قبيل وجود أفكار واستنتاجات يتم التوصيل اليها دون وساطة الوعي.

• وخلص فرويد الى إن كل هذه التصرفات تبقي منفصلة ولا يمكن فهمها ما لم ندخل فرضية اللاشعور التي قد استنتجناها.

اللاشعور اللاكاني:

• لقد أخذ اللاكانيون حجج فرويد بشأن اللاشعور بكل جدية وتناولوا اللاشعور كونه واقعا ينبغي التسليم به. وقد انطلق لاكان من أن اللاشعور مصطلح أساسي، أو ربما هو الأساس، في قراءة لاكان لفرويد. إنه يتعلق ويمس أفكاره بشأن الكلام واللغة، بشأن الدال، بشأن الجنسية في الخبرة الإنسانية.

• ويري البعض ان اللاشعور اللاكاني يكاد يكون النظرية التحليلية النفسية الوحيدة التي تم اختزالها الي تدوين، شأن المنطق الرياضي، يبدو في بعض الأحيان ضربا من المعرفة الباطنية البعيدة بشأن الواقع الكلينيكي المبرر الوحيد للأفكار التحليلية.

• إن لاكان هو أولا وقبل كل شيء قارئ ومفسر فرويدي؛ ولكنه ضمن سياق فكري يختلف عن ذلك السياق الفكري الذي صاحب طروحات فرويد بشأن اللاشعور. فلم يكن السياق الفكري له الفيزياء النيوتونيه والنشوئية الداروينية المميزة للقرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين، ولكن اللغويات والانثروبولوجيا البنيوية التي سيطرت علي منتصف القرن العشرين. لقد حلت اللغة والبنيوية محل القوي البيولوجية والديناميات الطاقاتية كمقدمات للاستعارات للحياة النفسية... ومع ذلك يمكن القول بلغة عامة أن فكرة لاكان عن اللاشعور هي فكرة فرويدية

• "ان اللاشعور هو مشهد أخر، مكان أخر، موضع أخر لتحتيم التصرف الإنساني الذي لا يمكننا الوصول اليه مباشرة وانما على نحو غير مباشر، لا سيما من خلال الأفعال العرضية المرضية ومن خلال الأسباب غير المعروفة التي تحفز رغباتنا واختياراتنا الأعظم أهمية."

• إن هذا اللاشعور هو بشكل راديكالي "أخر"- ليس باللاشعور الوصفي ولا بالذكريات الضمنية، وانما هو بشكل أساسي ضرب من الإصرار لشيء ما غريب لا يمكن معرفته. وان المفارقة الفرويدية بالنسبة الي جاك لاكان هي أن هذا الشيء ما الذي هو جد غريب لكل شيء نحدده علي أنه ذاتنا أو هويتنا، وهو أيضا الأساس لكل شخصيتنا أو ذاتيتنا. إنه الأثر لانشطار أساسي يحدد الذات المتكلمة.

• ولعلنا نتذكر ملاحظة الفرويدية بشأن اللاشعور والتي مفادها اننا نتصرف كما لو أن هناك ذاتا ثانية تتصرف على نحو مستقل داخلنا. وبالطبع يذكر إنه لا وجود مادي لهذه الهوية اللهم الا كضرب استعارة لظاهرة اكتشفها التحليل النفسي.

• وجاك لاكان هو الاخر تكلم عن ذات اللاشعور و، شأن فرويد، يري هذه الذات على إنها ذات بلا رأس، ليس بمركز متجانس للإرادة والدافعية، وانما هي بالحري شيكة معقدة من معاني.

• وعلى الرغم من عزوف فرويد عن طرح وجود "لوعي ثان" Second، الا إن اللاكانيين يرون اللاشعور كونه "بنية ثانية"، انتظام نفسي له من الواقعية ما للوعي وقادر على إن يجعل من وجوده قائما عبر وسائل عده.

• ولقد جاءت ملاحظة فرويد التي مفادها إن الوعي فجواتي به ثغرات باعتبارها شرط سابق للأطروحة اللاكانية التي مؤداها إن اللاشعور يوجد كفجوة في خطاب الشعور. وبتفسيره لغويا، فإن اللاشعور هو سلسلة من الدوال التي تقتحم في الوعي عند نقاط ضعف في الخطاب الشعوري. إن اللاشعور اللاكاني يتبدى على إنه أثر للغة، أي إننا نعرف عنه من خلال فجوات وضروب غموض ف الكلام، وخاصة المعاني المزدوجة أو الزلات أو النكات التي من شأنها تسمح لنا باختصار أن نلقي لمحة عابرة عبر بوابة الرقابة أو بلغة لاكانية من خلال تفعيل الدوال الكامنة.

• إن اللاشعور بالنسبة الي جاك لاكان، وفي معارضة مع اللاشعور عند فرويد، هو ليس بمستودع متماسك للتمثيلات الغريزية أو الفانتازيات المكبوتة التي يمكن وصفها بلغة حفزات أو دوافع ذات مغزي، وانما اللاشعور هو بنية افتراضية تتألف من عناصر دلالية، أو بعبارة أخري من وحدات منفصلة متمايزة مثل الايماءات أو الكلمات أو الاعراض- المتصلة والمرتبطة في شبكة غريبة عن وعيينا ولكنها مصدر أفعالنا الأكثر أهمية.

• إن اللاشعور هو ذلك الجزء من الخطاب العياني بالقدر الذي يكون عبر فردي، والذي لا يكون تحت تصرف الذات الشعورية. ان اللاشعور لا يتجلى الا عندما تكون الذات منزعجة ومضطربة جراء هوية اناها الراضية وعالمها المتخيل نتيجة الاتصال مع الاخر الرمزي، أي من قِبل ذات أخر أو وظيفة رمزية ثقافيا تكون مشتركة فيها. أن اللاشعور قائم دوما ولكنه لا يتحرك الا في علاقة مع أخر رمزي. ان اللاشعور هو ذلك الجزء من الخطاب الذي يخرج عن سيطرتنا وليس تحت تحكمنا: إنه صوت الاخر الكبير الذي ينعشنا في أعمق أعماقنا.

• "منذ فرويد واللاشعور يشكل سلسلة من دوال يتم تكرارها في مكان ما (في مرحلة ثانية، في مشهد أخر)، وتصر بإلحاح على الدخول في الفواصل القائمة فيه بفعل الخطاب الفعال وبفعل ما يخبر به التفكير".

• أن تجلي الخطاب اللاشعوري تخبره الذات نموذجيا باعتباره تقطع متناقض (اعتراض) هو يكون غير مريح ومزعج لأنه يقطع الاستمرارية. ومن ثم، فإن عدم الاستمرارية هي الإطار الأساسي الذي يظهر فيه اللاشعور بداية كونه ظاهرة ـ تقطع، فيه يتبدى شيء ما كتذبذب. أن هذا التذبذب في الذات هو منحي ملازم متأصل في خبرة الظواهر اللاشعورية. ويستدل لاكان من هذا التذبذب ما يبدو على إنه الخاصية الفينومينولوجية للاشعور:

• في تقديراتي السابقة أؤكد دوما على الوظيفة الإقحاميه للاشعور، وعلى ما يبدو الحاجة للتخفي والاختفاء المتأصلة فيه ـ أن كل ما يظهر للخطة في شقة، يبدو وكأنه مقدر له، بنوع من الإجراءات الاستباقية ـ أن يتعلق على نفسه مرة أخري، على النحو الذي استخدام به فرويد نفسه هذه الاستعارة، ليتلاشى ويختفي ويتوارى.

• ومع ذلك فإن خبرة الذات باللاشعور تتميز بالغرابة والاندهاش بأكثر مما تتميز بالأشياء.

• أن اللاشعور يتبدى دوما على إنه هذا الذي ينزلق في شق الذات او في انشطار في الذات، ومنه يخرج اكتشاف وينبثق يقارنه فرويد بالرغبة... حيث تفاجئ الذات نفسها باندهاش غير متوقع.

• إنه يحتوي على هذا الشيء الذي يمسنا جميعا ولا يمكن وصفه او تحديده، تلك اللكنة او اللهجة المميزة للمفاجأة والاندهاش، إنه هذا الذي به تستشعر الذات مغمورة، وبه تجد تقريبا أكثر او اقل مما توقعت.

• أن هذا التناول للاشعور يمنحه مكانه وجودية تختلف عن تلك الموجودة عادة في الممارسة التحليلية. وغالبا ما ينظر الى اللاشعور كونه ينطوي على معني وصفي باعتباره هذا الذي لا يكون المريض على وعي به، المعني الكامن لكلماته وافعاله. وفي المقابل، يؤكد اللاكانيون على وجود اللاشعور كواقع يمكن تمييزه بوضوح عن خبرة الشعور.

• هذه هي الكيفية التي يتبدى بها اللاشعور في التحليل ـ ليس فحسب كنسق أخر يختلف راديكاليا عن ما نصيغه شعوريا، وإنما كمشهد أخر او مسرح أخر لا انتظام زماني له ولا حتي مكاني. أن هذا المكان الأخر هو الأكثر الفه، والأكثر حميمية لنا. هو حالة من الهيام التي ننجذب اليها بفعل النفي او الطرد العقلاني الذي تمارسه علينا الحضارة مما يجعلنا نشعر به وتعيشه كما لو إنه ليس بهيام، وليس بغريب ولا بمزعج.

• وبالنظر الى اللاشعور على هذا النحو، فإن تناوله يملي علينا نهجا بعينه من الممارسة. لقد أكد لابلانش ولوكلبير على إن تكفيك "الانتباه الهائم"، يتم تفسيره غالبا على إنه ينطوي على أسلوب بعينه من الانصات الذي أطلقوا عليه اسم: أسلوب الترجمة الفورية والتلقائية.

- أن هذا النهج يسمح بضرب من الشك بعدم الدقة بالتأثير على مجمل خطاب المريض؛ أن كل فعل وكل كلمة قادره على إخفاء معني خفي وهي ليست أكثر من مادة يمكن ترجمتها بلغة الباثولوجي.

- أن التصور اللاكاني للاشعور يفترض أسلوب مختلف للإنصات، أسلوب اسماه لابلانش ولوكلبير أسلوب الانتباه للظواهر الفجواتية (للثغرات). وهذا يشكل ضربا من الانصات الموزع الذي يستهدف تسليط الضوء على النقاط العقدية في كلام المريض: نقاط الغزارة والشدة، الثغرات، الفتحات. أن مثل هذا الأسلوب في الانصات يعني إن الخطاب اللاشعوري لا يكمن ولا يقبع تماما وراء النص الظاهر وإنما يظهر عند نقاط محددة في خطاب المريض وكلامه، أن على المحلل النفسي إن يكون قادرا على التمييز بين لغو الكلام (الكلام الفاضي) والكلام المليان، وإن يدرك إنه ليس كل كلام المريض قابلا للتفسير، وأن هناك اقوال بدون ارتباطات لاشعورية.

البنية اللغوية للاشعور

• أن واحدا من أوضح تقريرات لاكان وأكثرها تشددا بشأن اللاشعور باعتباره بنية لغوية يمكن العثور عليه في مقالته التي نشرها في العام ١٩٥٧ والتي جاءت تحمل عنوان: "وكاله الحرف في اللاشعور او العقل منذ فرويد". في هذه المقالة يقارن لاكان في أسلوب متماسك غير معتاد بين مفاهيم تحليلية نفسية ومبادئ لغويه، وبتناول النقاط الأساسية في المقال يمكننا أن نبلغ الى فهم وتوضيح للأساليب الخاصة التي وفقها وغيها يُبني اللاشعور بناء لغة. وقول:

• إن ما تكشف عنه الخبرة التحليلية في اللاشعور هي بأكملها "بنية لغة"، ومن ثم فإنه عليّ ومنذ البدء أن أوقظ العقول النيرة الي الدرجة التي يتعين عندها إعادة التفكير في الفكرة التي مؤداها "ان اللاشعور هو مجرد مقر للغرائز".

- لقد تم إدراك فكرة أن اللاشعور هو مكان محظور مرفوض لحفزات بدائية غير مقنعه واحلال محلها فكرة إن اللاشعور ليس بغريب، لا ولا هو بفوضوي هيولي، ولا هو بالمستبعد المعزول المنبوذ كما هو يعتقد في كثير من الأحيان. ولقد بذل لاكان جهدا خاصا ليؤكد على إنه يبقي ينطلق ضمن أطار المجال الفرويدى، ويصر لاكان على إن اطروحته، بان اللاشعور يبني بناء لغة لم تكن ابدا بعيدة عن فهم فرويد وسبر غوره، وإن ما قام به هو الا مواصلة توثيق الوجهة اللغوية لــ فرويد.

- "لقد كرس فرويد في اعماله الكاملة صفحة من بين كل ثلاث صفحات لإسنادات ومراجع في فقه اللغة... ولقد تزايدت حصة تحليل اللغة وبلغت مبلغها عندما كان الامر عند فرويد يتعلق مباشرة باللاشعور".

- ولقد تم عمل اسناد خاص لذلك القسم في تفسير الاحلام حيث يتم تصوير الحلم ووضعه على إنه احجيه او لغز (في الفصل السادس). لقد جاء السياق فيه واضحا تماما كونه لغويا، كما كتب فرويد عن تفكير الحلم ومحتوي الحلم كونهما لغتين مختلفتين. أن محتوي الحلم ممكن مقارنته بمخطوطه بشأن أفكار الحلم، في مخطوطه بصرية تصويرية، تلك المخطوطة التي يتعين ترجمتها فرديا الى لغة أفكار الحكم. وتحدث ترجمة محتوي الحلم عندما يتم التعامل مع صور الحلم على إنها شيء ما دلالي أخر غير هذا الشيء الذي تمثله فعليا. ومن ثم فإن الحلم، شأنه شأن اللغز او الاحجية، لا ينطوي على مغزى او دلالة ويبقي غير منطقي حتى يتم ادراجه كلفه تتطلب التفسير.